تفسير سورة التغابن

د. يوسف الشبيلي
(تم تفريغها من محاضرات ألقيت في معهد العلوم الإسلامية والعربية بأمريكا)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة من السور المدنية لكن موضوعاتها على خلاف المعتاد في السور المدنية حيث ان الغالب في السور الدنية أن يكون الحديث عن الأحكام والآداب، لكن هذه السورة تشتمل في اغلب موضوعاتها على تقرير العقيدة والرد على منكري البعث والحشر، وهذه السورة سميت بسورة (التغابن) لقوله تعالى فيها {يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن} فسمى الله يوم القيامة يوم التغابن أي الذي يكون فيه الغبن (الخسارة) الواضح والظاهر.

تشتمل سورة التغابن على عدة موضوعات:

1- بيان قدرة الله تعالى وكمال علمه.
2- انكار البعث والحشر.
3- الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه من جمع الأولين والآخرين.
4- بيان أن كل ما في الكون هو من خلق الله تعالى وتقيره وأن ما يحدث فيه من الأحداث فهو بعلم الله وقدرته.
5- التحذير من الافتتان بالأمال والأولادوالأزواج وأن ما عند الله من النعيم خير من ذلك كله.

ويقول أهل العلم عنها أنها آخر المسبحات (السور التي تبدأ بالتسبيح لله تعالى).

الآية الأولى:

{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

<u>معاني الكلمات في الآية:</u>

يسبح: التسبيح هو التنزيه

لله: الام يقول اهل العلم انها زائدة والأصل في اللغة العربية (يسبح الله) فالام زائدة للدلالة على تأكيد المعنى فهذا التسبيح مختص بالله تعالى.

الزيادة في المبنى زيادة في المعنى أي إذا زاد في الكلمة أو زاد حرفا فهذا للزيادة في المعنى.

<u>معنى الآية :</u>

{يسبح} أن الله سبحانه وتعالى ينزهه كل ما في السموات وما في الأرض عن النقائص والعيوب، وهذا التنزيه مشتمل على الحمد لله بوصفه بصفات الكمال والتمجيد له وتعظيمه سبحانه.

تسبيح المخلوقات على نوعين:

1) تسبيح بالمقال أي بالقول، فكل المخلوقات تسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحاً حقيقياً، وتصفه بصفات الكمال وهذا التسبيح حقيقي ولكننا لا ندركه كما قال تعالى:{وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} وقال {ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} وفي هذا دليل على أن كل المخلوقات من غنس وجن وجبال ومحيطات وطير وأشجار ونجوم وكواكب كلها تسبح لله تسبيحاً حقيقياً.
2) تسبيح بالحال، فهذه المخلوقات بهيئتها وكمالها وإتقانها وجمالها دالة على صفات الحمد والكمال لخالقها فإذا تأملت الشمس وحركتها والنجوم وجمالها في السماء فهذا يدل على صفات الله تعالى بأنه قوي عليم خبير وليس بعاجز وليس بظالم. فهذه الصفات تدل على صفات الحمد وتنزيه الخالق عن صفات النقص.
وقوله {لله} الام يقول اهل العلم انها زائدة والأصل في اللغة العربية (يسبح الله) فالام زائدة للدلالة على تأكيد المعنى فهذا التسبيح مختص بالله تعالى.
الزيادة في المبنى زيادة في المعنى أي إذا زاد في الكلمة أو زاد حرفا فهذا للزيادة في المعنى.
وقوله { مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ما في اللغة لغير العاقل ولكنها في الآية تغليباً للأكثر لأن اللأكثر في مخلوقات الله أنها غير عاقل، وقال {السموات} بالجمع لأنها سبع سموات طباقا، قال تعالى في آية أخرى {هو الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن}، ثم قال { وَمَا فِي الْأَرْضِ} جاءت مفردة، لكنها سبع آراضين دليل قوله سبحانه {هو الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن} فالمماثلة في العدد، وأيضاً بدليل قوله صلى الله عليه ولم : من اقتطع شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أراضين.
{لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} الضمير في قوله {له} يعود إلى الله سبحانه وتعالى، {الملك} ال تفيد الاتغراق- اي كل الملك لله سبحانه وتعالى لا لغيره واستفيد هذ الحصر من تقديم الخبر {له} على المبتدأ {الملك}. وقوله {وَلَهُ الْحَمْدُ} أيضاً قدم الخبر على المبتدأ وذلك بأن الحمد الكامل لله وحده، وقد يقول قائل أن هذا الكلام غير صحيح فالبشر قد يملكون بل أن الله تعالى قد أثبت لهم الملك في آيات متعددة كما في قوله تعالى {أو ما ملكتم مفاتحه} فأثبت الله للبشر الملك وأثبت أيضاً لبعض البشر الحمد فالنبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد فهو محمود بصفات الكمال فكيف يكون التوفيق بين هذا؟
فنقول الملك لله المقصود به الملك المطلق الكامل الذي لا قيود له أما ملك البشر فهو ملك محدود ومقيد في فترة من الزمان زمقيد بنطاق معين لا يستطيع أن يتجاوزه وهذا الملك هو من الله تعالى فالله سبحانه هو الذي أعطاه ذلك الملك.
ثم قال سبحانه {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الضمير –وهو- يعود لله أي أنه هو على كل شيء قدير أي قادر- وقدير صفة مشبه من القدرة اي أن من صفاته سبحانه الملازمة له والتي لا تنفك عنه أنه قادر، وهذه فائدة الصفة المشبه في اللغة تفيد الاستمرار والدوام. فهو سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وقوله قدير- اسم من اسماء الله ونستفيد منه:
اثبات الاسم لله وهو القدير.
اثبات الصفة له سبحانه وهي القدرة.
اثبات الأثر أنه سبحانه يقدر على كل شيء، والعبد إذا عرف هذا، يعلق العبد قلبه على الله ويتكل عليه ويلجأ إليه لأنه سيدفع الضر ويجلب له الخير لقوله تعالى {ومن يتوكل على الله فهو حسبه (أي يكفيه) إن الله بالغ أمره (أي سيعطيه ما يريد)}.

<u>الآية الثانية:</u>
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

معنى الآية :

وقوله تعالى {هو الذي خلقكم} أي هو الخالق لكم أيها الإنس والجن {فمنكم كافر ومنكم مؤمن} اي أنه قدر بعلمه أن من الناس منهم من هو كافر ومنهم من هو مؤمن والكافر قد ارتضى هذا الطريق وسار عليه والمؤمن قد ارتضى هذا الطريق وسار عيه وكلا الفريقين قد بين الله تعالى لهم طريق الهداية من طريق الضلالة فالكافر اختار الضلال والمؤمن اختار الهداية بمشيئته وهذه المشيئة مرتبطة بمشيئة الله تعالى {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمالكم أيها العباد وسيجزيكم بها أتم الجزاء ويحاسبكم عليها يوم القيامة.

الآية الثالثة:

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }

معاني الكلمات في الآية:
خلق: الإيجاد من العدم على غير هيئة سابقة.
وصوركم: التصوير بمعنى التخطيط والتشكيل والتمييز والتخصيص.
وإليه المصير:أي المرجع والمآب
معنى الآية:

ثم قال تعالى { **خَلَقَ**} أي أوجد المخلوقات من العدم على غير هيئة سابقة ولم يحاكي أحدا سبحانه بل وجدها من العدم ولم يكن لهل نظ ير من قبل، وقوله {**بِالْحَقّ**} أي بالعدل والحكمة البالغة والغرض الصحيح فهو سبحانه لم يخلق السماوات والأرض عبثا ولهوا وإنما خلقها لغرض صحيح وحكمة بالغة، ثم قال {وصوركم فأحسن صوركم} أي شكلكم وجعل خلقتكم وجعل صورتكم وهيئتكم على أحسن خلقة وأتقنها وأتمها فأحسن المخلوقات هيئة هو الإنسان كما قال تعالى {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} وقال {يا أيا الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك } فالله أحسن صورة الإنسان وتفضيلها على غيره من الحيوانات والجمادات يظهر من وجوه:

1) أمد الله الإنسان بالعقل في خلقته وميزه عن الحيوان.
2) ميزه بالنطق.
3) جعله يمشي وهو قائم، وأمده الله تعالى بالعينين واللسان والشفتين والأذنين وكل هذا من تمام خلقة الله تعالى {ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين} النجدين أي الطريقين (طريق الهداية وطريق الضلالة)، فالله أمد الإنسان بهذه الحواس والمؤمن إذا راعى هذه الخلقة وسخرها في طاعة الله يكون أفضل من الملائكة لأن الله تعالى خلق فيه الشهوة فغذا عبد الله تعالى يكون قد جاهد نفسه في تلك العبادة. وأما الكافر إذا عصى الله تعالى بهذه الخلقة فإنه يكون أضل من البهائم لأن الله أعطاه العقل الذي يدرك به الصواب لكنه لم يستعمله للوصول إلى الصراط المستقيم.

وكقوله تعالى {الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات} وقوله تعالى {وإليه المصير} أي المرجع والمآب .

الآية الرابعة:

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

يَعْلَمُ: أي أن علم الله واسع شامل فهو يعلم كل شيء في الأرض وفي السماء فيخبر عن علمه سبحانه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال تعالى {يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون} تسرون- أي تخفونه عن الناس (حديث السر) ،{وما تعلنون} اي ما تبدوه للاس وهو حديث العلن، بل ويعلم سبحانه وتعالى ما هو أخفى من ذلك {والله عليم بذات الصدور} أي بما تكنه صدوركم من حديث النفس والخواط التي ينويها الإنسان في نفسه .

المعنى الإجمالي:

يبين الله تعالى أن من مظاهر قدرته وكمال قدرته أن كل من في السموات والأرض من جبال وبحار وطير وجن وإنس وحيوانات ونجوم وكواكب كلها تسبح لله سبحانه وتعالى بلسان مقالها وبلسان حالها، تسبح الله وتحمده وتعظمه وتمجده بصفات الكمال لأنه له سبحانه الملك المطلق الذي لا يضاهيه به أحد والحمد المطلق الذي لا يماثله فيه أحد وهو سبحانه قادر على كل شيء لا يعجزه أي شيء لا في السماوات ولا في الأرض ثم بين الله تعالى عدداً من مظاهر قدرته وكمال عظمته:

- فمن ذلك أنه خلقنا فمن الناس من هو كافر ومنهم من هو مؤمن، والمؤمن هو الذي لختار طريق الهداية واتبع الرسل صلوات الله عليهم وأما الكافر فهو ضد المؤمن (الكفر هو عدم الإيمان) الذي اتبع طريق الضلال سواء كان يهوديا أو مجوسيا أو هندوكيا، فكل الطوائف بعد الإسلام هي ملل كافرة.
- وأنه تعالى خلق السموات والأرض، فهو الذي أبدعها ووجدها من لا شيء ولم يكن هذا الخلق عبثا أو سدى أو لهو إنما لحكمة بالغة وأمر عظيم ألا وهو إقامة العدل بين الناس بإثابة المطيعين وعقاب العاصين.
- أنه خلق الإنسان في أتم خلقة وأحسنها، فخلقة الإنسان قد جملها الله سبحانه وجعلف في أتم صورة وأبهاها.
- وأنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض فلا يخفى عليه خافية لأن علمه قد وسع كل شيء فما يكون من حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، فعلمه سبحانه يشمل حتى ما يخفيه الإنسان عن الناس وما يسره ويعله فعلمه لا حدود له.

الفوائد من الآيات 1-4:

1- ان الله تعالى ينزهه ويحمده ويمجده جميع مخلوقاته في السماوات والأرض وهذا التسبح دائم ومتجدد ومستمر بدلالة الفعل المضارع في قوله {يسبح}. وهذا التسبيخ حقيقي فهي تسبح بلسان مقالها وهو تسبيح لا ندركه ولكننا نؤمن ه كما قال تعالى في آية أخرى { وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}.

2- أن المخلوقات من الجمادات والحيوانات قد تنطق وتدرك بهيئة يعلمها الله تعالى ولا ندركها نحن مثل النمل كما في قوله تعالى {يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم} والهدهد والذئب الذي تكلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والبقرة (أن رجلا قال إني ركبت على بقرة فالتفتت إلي وقالت إني لم أخلق لهذا- أي للركوب) فهذه الحيوانات تكلمت وكذلك الجمادات فالحجر كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم والطعام كان يسبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم,

3- أن الملك المطلق والحمد المطلق لله تعالى وحده فملكه سبحانه لا حدود لهولا قيود له أما ملك غيره فهو محدود بحدود ومقيد بقيود وحمده سبحانه لا حدود له.

4- أن الناس على فريقين منهم المؤمن ومنهم الكافر وليس ثمة فريق ثالث وفي هذا رد على من يقول أن من الناس من ليس بمؤمن وليس بكافر وهناك من يقول أن أهل الكتاب ليسوا بكفار، فالمؤمن هو من التزم طريق الأنبياء والمؤمنون من قبل الإسلام أيضا يسموا مؤمنين وأما الكافر فهو من ليس بمؤمن لأن الكفر هو عدم الإيمان فكل من ليس بؤمن يسمى كافرا، وكونه كافراً لا يعنى أن هذا الشخص بعينه مخلداً في النار لأنه من المحتمل أن شروط الكفر غير متحققة في الشخص أو وجد فيه مانعا من الموانع مثل الذي لم تبلغه الدعوة فيسمى كافر لكي يعامل معاملة الكافر في الدنا من عدم تزويجه بالمسلمة وعدم الصلاة عليه عند موته ودفنه في مقابر غير المسلمين لكن لا نحكم عليه لأن حكمه في الآخرة إلى الله لأن الله تعالى لا يعذب عباده ما لم يقيم عليهم الحجة. حتى أهل الكتاب هم كفار والدليل: {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} وقال { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}.

5- إن علم الله تعالى شامل واسع لا حدود له فهو سبحانه بصير بالعباد وبما يفعله عباده ويعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما يظهره الناس وما يخفوه بل وما يخفوه في صدورهم.

6- أن الله سبحانه خلق السماولت والأرض بالعدل والحكمة البالغة وخلق الإنسان في أحسن شكل وأبهى صورة ليشكر الله على النعم التي أمده بها فمن سخر هذه النعمة في طاعة الله فقد أدى شكرها ومن عصى الله بها فقد جحدها.

الآيات 5-10 وتعلق بالموضوع الثاني والثالث من موضوعات السورة وهو الرد على منكري البعث والحشر والنشور، والحديث عن مشاهد يوم القيامة:

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرِ}

معاني الكلمات:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ: الخطاب هنا للكفار الموجودين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أي ألم يأتكم أيها الكفار الذين تسمعون القرآن ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم، والاستفهام في قوله- الم- للتعجب أي أن أمرهم عجيب جائتهم الرسل بالبينات والبراهين والحجج ثم كفروا وأمركم أيها الكفار أعجب أن علمتم حالهم وما حل بهم من الوبال والعقوبة ومع ذلك تصرون على الكفر.

نَبَأُ: هو الخبر العظيم المهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ: مثل قوم لوط وقوم نوح وغيرهم من الكفار حيث جاءكم خبرهم وما كان من حالهم وأمرهم.

فَذَاقُوا: فجاءهم وأصابهم (وهو ذوق أي شيء يسير لكن العقوبة العظمى في الآخرة).

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: وبال- عاقبة، وبال أمرهم- أي عاقبة ومآل أمرهم.

أَمْرِهِمْ: كفرهم أي الشأن الذي كانوا عليها وهو الكفر، فذاقوا عاقبة ذلك الكفر وهو العذاب الذي أصابهم في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة، مثل الأقوام الذين سبقوا (قوم عاد أرسل الله عليهم الرح وقوم نوح عاقبهم الله بالطوفان).

بِأَنَّهُ: الباء باء السببية (بسبب)– أنه: الضمير هنا ضمير الشأن أي بسبب شأنهم.

كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ: ذلك العذاب والعقوبة التي أصابتهم في الدنيا بسبب ان الرسل اتتهم بالبينات والحجج القوية الدالة على أن الله هو المستحق للعبودية وحده، وأن هؤلاء الرسل هم أنبياء الله في أرضه فأمدهم الله بالآيات الظاهرة فما كان ردهم إلا أن قالوا {أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}

أَبَشَرٌ : الألف للاستنكار والسخرية، وبشر هنا تشمل المفرد والجمع.

يَهْدُونَنَا: الهداية هنا هداية الدلالة والبيان، اي يدلوننا إلى الصراط المستقيم.

فَكَفَرُوا: اي كفروا بالرسل وكذبوا بالحق.

وتولوا: أي اعرضوا عن الانقياد لأحكام الله تعالى.

وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ: أظهر غناه عن كل شيء ومن ذلك غناه عن طاعتهم وإيمانهم إذ أهلكهم لما عصوه.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ: اسم من أسماء الله تعالى، فله الغنى الكامل المطلق الذي لا يماثل غنى المخلوقين، ويدل الإسم على صفة الغنى.

حَمِيدٌ: اسم فاعل ومفعول فهو سبحانه حامد ومحمود.

زَعَمَ: ادعى- وفي الغالب الدعوى تطلق على الخبر الكاذب لكن أحيانا تطلق على الخبر الصادق.

يُبْعَثُوا: البعث هو القيام من القبور كأن يقوم الناس من قبورهم يوم القيامة أو يوم البعث.

قُلْ بَلَى: قل (يا محمد والمؤمنين) اي بلى ستبعثون، وبلى كلمة جواب تقع بعد النفي للإثبات. مثل في قوله تعالى {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}

وَرَبِّي: الواو واو القسم.

لَتُبْعَثُنَّ: إثبات للبعث

ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ: إثبات للجزاء والحساب.

مراحل الآخرة:

1) النفخ: فيهلك كل من في السماوات والأرض، وكل من مات فقد قامت قيامته أما قيام الساعة فيبدأ بالنفخ في الصور ثم يمكث الناس أربعين.
2) ثم ينفخ النفخة الثانية التي تكون فيها البعث وقد دل على هاتين النفختين قوله تعالى في سورة الزمر {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فغذا هم قيام ينظرون}.
3) ثم الحسر أي اجتماع الناس كلهم الأولين والآخرين يخرجون من قبورهم كأنهم جراد منتشر ثم يحشرون.
4) الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم التي يطلبها لكي يبدأ الحساب.
5) ثم الجزاء والحساب.

فالحساب له مراحل:

- العرض على الله -أخذ الكتاب باليمين -الميزان –ثم الصراط وهو حبل دقيق منصوب فوق النار -ثم القنطرة -دخول الجنة والنار واخيراً شفاعة المؤمنين بعضعم لبعض.

الناس في الحساب على ثلاثة أقسام:

1- من يكون حسابه يسير، قال تعالى: واما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا.
2- من يكون حسابهم يسير وهم المؤمنين وحسابهم يكون مجرد عرض دون نقاش لأنه من نوقش الحساب فقد عذب.
3- من لا يحاسب أصلاً فيدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب وهؤلاء هم الذين حققوا مرتبة التوكل على الله تعالى بكمالها وقال فيهم صلى الله عليه وسلم الحديث في الذين يدخلون الجنة ومعهم سبعون ألف.

وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ: تعود إلى البعث والجزاء والحساب.

<u>المعنى الإجمالي</u> <u>للأيات 5-7:</u>

يقول تعالى متعجا من حال المشركين {ألم يأتكم ايها الكفار} الخبر الهام والنبأ العظيم الذي حل بالأمم السابقة لما كفروا بالله تعالى وعاقبة كفرهم وعنادهم أن عاقبهم الله تعالى في الدنيا وما حل بهم من العذاب والنكال وادخر لهم عقاباً أشد في الآخرة. ثم علل ذلك فقال تعالى {ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات} أي بالحجج والدلائل والبراهين {فقالوا أبشر يهدوننا } أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم { فكفروا وتولوا } أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل {واستغنى الله عنهم بهلاكهم . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يدعون أنهم لا يبعثون ولن يخوجوا من قبورهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد والبعث حق –وهذه واحدة من ثلاث آيات في القرآن حيث أمر الله رسوله بأن يقسم على قضية المعاد.

فالأولى في سورة يونس {ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين }.

والثانية في سورة سبأ {وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم }

والثالثة هي هذه {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير}.

فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسم بأن يقسم بأن البعث حق وأن الناس سيبعثون يوم القيامة وسيحاسبون على أعمالهم {وذلك على الله يسير} أي بعثكم وحشركم ومجازاتكم يسير عليه سبحانه.

الفوائد المستنبطة من الآيات 5-7:

1- تحذير المشركين من التمادي في غيهم وكفرهم لأنهم سيعاقبون بمثل ما عوقبت به الأمم السابقة.
2- أن سبب تعذيب الكفار بالماضي هو كفرهم بالله وجحودهم بالبينات التي جاءت بها الرسل.
3- أن الرسل جميعاً هم من البشر فلا يجوز أن يرفعوا من منزلتهم وأخذنا هذه الفائدة من قوله {فقالوا أبشر يهدوننا}.
4- إثبات البعث والجزاء والنشور والحساب يوم القيامة.

الآيات 8-10 :

{فآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرِ}

معانى الكلمات:

وَرَسُولِهِ: هنا مفرد مضاف إلى المعرفة (الضمير) فهو شلمل وعام لكل الرسل-أي فآمنا بالله وجميع رسله ومن باب أولى الإيمان بقائدهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا: القرآن وتسميته نورا سبيل الاستعارة لأن القرآن ينير الطريق للسالكين ويبدد الشبهات عنهم وهذا واحد من أسماء القرآن ويسمى بالفرقان والشفاء والكتاب والموعظة والروح والذكر ورحمة...

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ: الخبرة تدل على العلم بدقائق الأمور فهو يعلمها ولا تخفى عليه من أعمالكم خافية .